ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 9, No. 2 || July -December 2024|| P. 40-74
ISSN: 2415-5500
الديبل (يوليو_ ديسمبر 2024ء)

عوامل بناء الرّجولة عند النّبي صلّى الله عليه وسلم

FACTORS IN THE FORMATION OF MANHOOD IN THE PROPHET MUHAMMAD (PEACE BE UPON HIM)

إسماعيل حمدو الإسماعيل* ، د. أيمن جاسم محمد الدوري*

ABSTRACT:

This study aims to explore the concept of manhood (al-rujūlah) in light of the Qur'an and the Prophetic Sunnah, and to analyze the factors that contribute to cultivating this value within the personality of the Muslim individual. The research focuses on the Prophetic model as a central reference point, while also shedding light on the current condition of Muslim youth in the modern era. The study begins by defining the term manhood, clarifying that in the Islamic worldview, manhood is not confined to physical characteristics or specific stages of age. Rather, it is embodied in assuming responsibility, remaining steadfast upon principles, and fulfilling religious and ethical obligations. The research highlights the major factors that contributed to the formation of manhood in the personality of the Prophet Muhammad (peace be upon him), including: early divine upbringing, the Qurayshi environment that instilled values of courage and truthfulness, practical experiences such as shepherding and trade, and the trials that refined his character. These

* طالب في مرحلة الماجستير، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة ماردين أرتوكلو، جمهورية تركيا

* أستاذ الحديث المشارك، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة ماردين أرتوكلو، جمهورية تركيا.

were followed by the burdens of the Prophetic mission, which entrusted him with immense responsibilities from the very beginning of the Islamic call. The research then turns to examine the key causes behind the decline of manhood values among Muslim youth. These causes include: the weakening of faith-based upbringing, the absence of righteous role models, the influence of Western media, the collapse of educational foundations within the family, and the weakening of social structures that are essential for nurturing such values. The study emphasizes the importance of reviving the meanings of manhood, given its foundational role in shaping a balanced Islamic personality—one capable of uplifting the ummah and confronting contemporary challenges. The study concludes by asserting the necessity of drawing inspiration from the Prophetic model in youth education programs, in order to build generations that are strong in faith and conduct, firm in their principles, and able to serve as genuine role models for those who come after them.

KEYWORDS: The Prophet, peace be upon him– Factors– The loss of manhood– Strengthening the value of manhood.

الكلمات المفتاحية: النبي صلى الله عليه وسلم، عوامل ، ضياع الرجولة ، تعزيز قيمة الرجولة.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الحديث عن مفهوم الرّجولة في ضوء القرآن والسنّة النّبويّة، وتحليل العوامل الّتي تعزّز بناء هذه القيمة في شخصيّة الفرد المسلم،

ويكون ذلك بالتّركيز على النموذج النّبوي، مع تسليط الضّوء على واقع الشّباب المسلم في العصر الحديث.

يبدأ البحث بتعريف مصطلح (الرّجولة) مبيّنًا أنّ الرّجولة في المنظور الإسلامي لا تقتصر على الصّفات الجسديّة أو المراحل العمريّة، بل تتجسّد في تحمّل المسؤوليّة والثّبات على المبادئ، والقيام بالواجبات الشّرعيّة والأخلاقية.

ويبرز البحث العوامل الّتي ساهمت في بناء الرّجولة عند النّبيّ صّلى الله عليه وسلّم، ومن أهمّها: التّربية الرّبّانيّة المبكّرة، والبيئة القرشيّة الّتي غرست قيم الشّجاعة الصّدق، والتّجارب العمليّة في رعي الغنم والتّجارة، إضافة إلى الإبتلاءات الّتي صقلت شخصيّته، ثمّ تحمّله لأعباء الرّسالة الّتي حمّلته مسؤوليّات عظيمة منذ بدايات الدّعوة الإسلاميّة.

ثمّ ينتقل البحث إلى رصد أبرز أسباب تراجع قيم الرّجولة في أوساط الشّباب المسلم، ومنها: ضعف التّربية الإيمانيّة، وغياب القدوة الصّالحة، والتّأثّر بالإعلام الغربي، وانهيار المفاهيم التّربويّة داخل الأسرة، وضعف أواصر المجتمع الّذي يوفّر البيئة المناسبة لتعزيز هذه القيمة، ويؤكّد البحث على أهميّة إحياء معاني الرّجولة لما لها من دور أساسي في بناء الشّخصيّة الإسلاميّة المتّزنة، القادرة على النّهوض بالأمّة ومواجهة التّحدذيات.

ويخلص البحث إلى ضرورة استلهام النّموذج النّبوي في برامج التّربية الشّبابيّة لبناء أجيال قويّة في إيمانها وسلوكها، ثابتة في مبادئها، تكون قدوات حقيقيّة

للأجيال من بعدها.

مقدمة:

الحمد لله صاحب الجود والكرم الإحسان، الّذي منّ علينا بنعمة الإسلام، وتفضّل على هذه الأمّة بهذا الدّستور العظيم الّذي فيه هداية لكل تائهٍ في كلّ زمان ومكان، وأرسل نبيّه المصطفى العدنان ليكون خير نبيّ وأعظم أسوةٍ للبشريّة على مدى الزّمان، ثمّ أمّا بعد:

تُعدُّ قيمة الرُّجولة أحد الجوانب المهمَّة في حياة الشَّباب المسلم، حيث تمثِّل قوامًا أخلاقيًا وسِمة مميّزة في تعاملهم مع الحياة والمجتمع. ويسهم في تشكيل جيل واعٍ ومسؤول يعمل على خدمة المجتمع ونشر الخير، ومن أبرز الأمثلة الّتي تُعتبر مرجعًا أساسيّـًا في تعزيز قيمة الرُّجولة هو سيّد الخلق وإمام المرسلين محمَّد ﷺ، الّذي يُعَدّ أسوة حسنة للشَّباب المسلم في مختلف جوانب الحياة.

أهمية البحث:

تنبع أهميّة هذا البحث من تركيزه على إحدى القيم الجوهريّة في الإسلام وهي قيمة (الرّجولة)، بما تحمله من معانٍ ساميةٍ وسمات نبيلة تمثّل ركيزة أساسيّة في بناء الإيمان الحقيقي والشّخصيّة المسلمة المتكاملة، فهذا المفهوم لا يقتصر على بعدٍ خلقيّ فحسب، بل يشكّل حجر الزّاوية في نهضة الأمم واستعادة عزّتها، ويهدف البحث إلى تقديم رؤية شاملة لهذه القيمة، من حيث

دلالاتها وأهميّتها، والجهود المنهجيّة الّتي يبذلها أعداء الإسلام لطمسها وإضعاف حضورها في الوعي المجتمعي، وذلك لإدراكهم أنّ إحياء معاني الرّجولة إنّما هو إحياء لمجد الأمّة، وانكماش لقوى الانحلال والفساد.

مشكلة البحث:

شاع في العصر الحالي مفهوم خاطئ عن الرجولة، يُختزل في السيطرة، والقسوة، وكبت المشاعر، والتسلط على الآخرين، مما يجعل هذا التصور الضيق في معنى الرجولة غطاءً للتعالي والغضب والانغلاق، بينما يهمل الجوانب الأخلاقية والإنسانية التي تمثل جوهر الرجولة الحقيقية، لكن الرجولة التي علّمها النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه كانت مختلفة تمامًا. لذا جاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة الآتية:

ما تعريف مصطلح الرجولة وما هي مدلولاته في القرآن والسنّة؟

ما أبرز عوامل ضياع الرجولة عند الشّباب المسلم في عصرنا؟

ما أهمية إعادة تعزيز قيم ومعاني الرّجولة عند الشباب المسلم؟

ما أبرز العوامل التي عزّزت قيمة الرجولة عند النبي صلى الله عليه وسلم؟

منهج البحث:

سأعتمد المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي في هذا البحث، وذلك على الشكّل التّالي:

1- الاستقرائي: يتمثّل في تتبّع الآيات القرآنية والأحاديث الشّريفة والمواقف

النّبويّة الّتي ورد فيها ذكر (الرّجولة) أو ما يدلّ عليها من صفات، بهدف الوقوف على معانيها ودلالاتها وسياقات استخدامها، ثم استنتاج المفاهيم لهذه القيمة من خلال تلك النّصوص.

2- التّحليلي: من خلال تحليل النّصوص والمواقف النّبويّة الّتي تعزّز هذه القيمة لاستخلاص ما تحتوي عليه من مضامين تربويّة وسلوكيّة، وذلك لفهم الأبعاد العميقة لقيمة الرّجولة في التّصور الإسلامي.

3- الوصفي: اعتمدت فيه على وصف الواقع الراهن للشباب المسلم من حيث حضور أو غياب قيمة الرّجولة، وبيان آثار ذلك في سلوكهم الشّخصي والاجتماعي، ثمّ تقديم وصف علمي للوسائل والآليات المناسبة لترسيخ هذه القيمة في حياتهم.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدّراسات التي تحدّثت حول هذا الموضوع من أبرزها:

1- (الرجولة مقوّماتها وخصائصها في الإسلام) تأليف: أ.د. أبو بكر علي الصدّيق، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة عجمان، تتحدّث هذه الدراسة عن: فضل الرجولة المطلقة وخصائصها ومقوماتها في القرآن الكريم والسنّة النّبوية، وتميّز الرجولة في الأحكام الشرعية.

2- (صناعة الرّجولة في مدرسة محمّد) تأليف: د. محمّد عبد المعطي محمّد، تتحدّث هذه الدراسة عن: خطر غياب الرّجولة على الهويّة الإسلامية ودور

الغزو التّاريخي في ذلك، ثم عرض لنماذج مضيئة في القرآن والتّاريخ الإسلامي التّي تمثّلت معاني الرّجولة في حياتها ودور النّبي ﷺ في صناعة هذه النماذج.

3- (صناعة الرّجال الصّناعة المفقودة) تأليف: عارف أنور نور محمّد، تتحدّث هذه الدراسة عن: الصّفات الأساسيّة لصناعة الرّجال وذكر فيها إحدى عشر صفةٍ مهمّة وأساسيّة.

ومما تميز به بحثي هذا عن الدراسات السابقة أنه جاء مركّزاً حول شخص النّبي ﷺ والمواقف المهمّة في حياته الّتي أدت لصناعة وتعزيز قيمة الرّجولة فيه كيف لا؟ وهو الّذي تربّى على عين الله ليكون إمام الخلق أجمعين وأسوتهم في كلّ الميادين.

حدود البحث:

الحدود الموضوعيّة أو المجال المعرفي للبحث يرّكز على دراسة قيمة الرّجولة في التّصور الإسلامي، من خلال تحليل معناها في الّلغة العربيّة والقرآن الكريم وتسليط الضّوء على المواقف النّبويّة الّتي تجسّد هذه القيمة، والبحث في الوسائل العمليّة لغرسها وتعزيزها.

أمّا بالنّسبة للحدود الزّمانيّة، فلا يرتبط البحث بزمن معيّن في جانبه النّظري، لكنّه يتناول في جانبه التّطبيقي والتّحليلي الواقع المعاصر للشباب المسلم في القرن الحادي والعشرين، لقياس مدى حضور أو غياب هذه القيمة.

ثمّ بالنّسبة للحدود المكانيّة، فيركّز البحث على الشباب المسلم بصفة عامّة، دون تحديد بلد معيّن.

وختاماً الحدود البشريّة أو الفئة المستهدفة بالدّراسة، فهي تخصّ فئة الشّباب المسلم من الذّكور بشكل أساسي، باعتبارهم المعنيين بشكل مباشر بقيمة الرّجولة في بعدها التّربوي والاجتماعي والدّيني، مع التطّرق أحياناً لأثر هذه القيمة في المجتمع ككل.

خطة البحث:

تم تقسيم بحثي هذا بعد هذه المقدّمة إلى مبحثين:

المبحث الأول بعنوان: معاني كلمة الرّجولة في اللّغة والقرآن ومظاهرها في حياة النّبي محمد ﷺ

ويشمل ثلاث مطالب:

المطلب الأول: معنى كلمة الرّجل في لغة العرب

المطلب الثاني: معاني الرجولة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: العوامل التي ساهمت في تنشأة قيمة الرجولة عند النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني: عوامل ضياع الرّجولة وأهميّة تعزيز هذه القيمة في حياة الشباب

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: عوامل ضياع الرّجولة في حياة الشّباب

المطلب الثاني: أهميّة تعزيز قيمة الرّجولة

ثمّ خاتمة بيّنت فيها أهمّ النتائج الّتي توصّلت إليها

فإن وفّقت في بحثي هذا، فذلك من فضل الله وكرمه ومنّه وجوده، وإن أخطأت فذلك بسبب تقصيري وضعفي، والله الموفق والمعين وهو الهادي إلى الخير والطريق المستقيم.

المبحث الأول: معاني كلمة الرّجولة في اللّغة والقرآن ومظاهرها في حياة النّبي محمد ﷺ

المطلب الأول: معنى كلمة الرّجل في لغة العرب:

الرّجلة، بالضّمّ: مصدر الرَّجُل والرَّاجِل والأَرْجَل، يقال: رَجُلٌ جيّد الرُّجْلَة، ورَجُلٌ بيِّن الرُّجولة والرُّجْلة والرُّجْلِيَّة والرُّجُولِيَّة، وهي من المصادر الّتي لا أفعال لها، وهذا أَرْجَلُ الرَّجُلين أي أشدّهما[1].

وهو أرجل الرّجلين أي: أقواهما، وفرس رَجِيلٌ قَوِيٌّ على المشيِ، ومنه: سمّيت الرِّجْلُ لقوّتها على المشي، وَارْتَجَلَ الكلام قوي عليه، وتَرَجَّلَ النّهار

[1] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر،١٤١٤)، 11/ 267.

قوي ضياؤه[2].

ومن هذه المعاني اللّغوية يتّضح لنا أن كلمة الرَّجُلِ لها معاني كثيرة ومختلفة، لكنّها في المجمل تدل على القوّة والشدّة.

المطلب الثاني: معاني الرجولة في القرآن الكريم:

وردت كلمة الرّجل في القرآن الكريم في العديد من المواضع والسّور والآيات، وفي كلّ موضع كان لها دلالة مختلفة عن الأخرى على حسب السّياق الّذي وردت فيه، لكنّها في مجملها تدلّ على معاني القوّة والشدّة والمعاني الحسنة.

"قال ابن الجوزيّ: الرّجال جمع: رجل، فهو اسم لذكور بني آدم بعد البلوغ، وقيل: إنّه اسم مأخوذ من القوّة. وذكر بعض المفسّرين أنّ الرّجال في القرآن على عشرة أوجه:

أحدها: الرّسل "وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ" (الأنبياء: 21/ 7)"، فالقيام بمهمّة عظيمة كمهمّة الرّسالة، والّتي هي تكليف من خالق الكون بشكلٍ مباشرٍ، يحتاج صاحبها أن يكون على قدرٍ عالٍ من الصفات المؤهّلة لهذا المقام، ولعلّ من أبرز هذه الصّفات هي الرّجولة.

الثّاني: "الصّابرون من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في الغزوات:

[2] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (بيروت: دار الفكر، 1420ه)، 2/ 438.

"رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ" (الأحزاب: 33/ 23)"، والصّبر من الأخلاق الفاضلة الّتي لا يستطيعه إلّا من كان لديه زادٌ إيمانيّ كبير، فعندما يرتبط الصّبر بالرجولة تتجلى أسمى معاني الفضيلة الّتي تدفع صاحبها لمقارعة الصّعاب كالمعارك وغيرها.

الثّالث: "أهل قباء ومنه، قوله تعالى: "فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا" (التوبة: 9/ 108)"، وأهل قباء كما ورد في السّيرة، هم الذين نزل فيهم النّبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار وقد نزلت فيهم هذه الآية لحرصهم على الطّهارة، وهذه صفة أصيلة من الصّفات الّتي يحملها الرّجل.

الرّابع: "المحافظون على أوقات الصّلاة، ومنه قوله تعالى: "رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ" (النور: 24/ 37)"، ولا شكّ أنّ الحفاظ على الصّلوات الخمس في وقتها، وعدم الانشغال عنها بتجارةٍ أو غيرها، هي من الفضائل الكبيرة الّتي يتحلّى بها الرّجل المؤمن.

الخامس: "المقهورون من مؤمني أهل مكّة، ومنه قوله تعالى: "وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ" (الفتح: 48/ 25)"، وهؤلاء المستضعفين من أهل مكّة على الرّغم من قدراتهم الضئيلة، إلّا أن الله ذكرهم في القرآن لما لهم من فضل وسهم في الإسلام، فهم على الرغم من ضعفهم، ثتبوا على دينهم وكانوا رجالا بحق.

السّادس: "فقراء المسلمين، ومنه قوله تعالى: "وَقالُوا ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ" (ص: 38/ 62)"، فكان يظنّ أولئك المجرمون، أنّه

سيجدون فقراء المؤمنين معهم في النّار، لأنّهم لا يملكون شيئًا من حطام الدّنيا، ولا تلك المناصب الكبيرة، فكانوا رجالاً بثباتهم على المبادئ رغم أنّها لم تعد عليهم بأيّ أرباحٍ دنيويّة ظاهرة.

السّابع: "المشاة، ومنه قوله تعالى: "فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجالًا أَوْ رُكْبانًا" (البقرة: 2/ 239) وقوله تعالى: "يَأْتُوكَ رِجالًا" (الحج: 22/ 27)"، الحجّ في الإسلام من العبادات الشّاقة التي تحتاج إلى جهد وسفر وتعب، وهناك من الشّعائر الّتي يؤدّيها المسلمون مشيًا على أقدامهم، استشعاراً للأجر الكبير الّذي ينتظرهم، فكانوا يترجّلون على أقدامهم طاعة لرّبهم وخالقهم.

الثّامن: "الأزواج ومنه قوله تعالى: "وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ" (البقرة: 2/ 228)، وقوله تعالى: "الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ" (النساء: 4/ 34)"، والزوج لا يبلغ درجة القوامة على الزّوجة، إلّا حين يستكمل معاني الرّجولة والمسؤوليّة، الّتي تؤهّله للقيام بحقوق الزّوجة وواجباته تجاه أسرته.

التّاسع: "الذّكور، ومنه قوله تعالى: "وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً" (النّساء: 4/ 1)، وقوله تعالى: "ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ" (الأحزاب: 33/ 40)"، والذّكورة من مراحلها الأساسيّة الّتي يبلغها الطّفل عندما يكبر ويتحمّل أعباء الحياة، من خلال التّجارب وظروف الحياة القاسية، يصبح رجلاً ذكراً، بخلاف الأنوثة الّتي هي في أصلها الضّعف لما أوجد الله فيها من صفات مختلفة عن الذّكر.

العاشر: "الكفّار، ومنه قوله تعالى: "وَنادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالًا

يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ" (الأعراف: 7/ 48)"[3]، إنّ هؤلاء الكفّار على الرّغم من وجود صفة الرجولة فيها، إلّا أنّها لا تتعدى أن تكون ما معناه ضدّ الأنوثة، أمّا أنّهم لو كانوا رجالاً بحقّ لدفعتهم رجولتهم إلى الإيمان بخالق هذا الكون، وجنّبوا أنسفهم من العذاب الأليم الّذي ينتظرهم يوم الحساب.

أما السّمات التي أضافها القرآن على على هذه الكلمة فهي جديرة بالذّكر لما فيها من المعاني الجليلة والفوائد الجمّة، منها:

قوله تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء" (النساء:4/ 34) وكلمة الرجال في هذه الآية تدل على معنى المسؤولية التي أوكلهم الله تعالى بها، وذلك أنّ الله أعطاهم العديد من المزايا والقدرات ما يجعلهم أهلاً لهذه المسؤولية العظيمة.

وقوله تعالى: "لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" (التوبة: 9/ 108)

وفي هذه الآية ربط الله سبحانه وتعالى كلمة الرجال بمعاني التّزكية والتّطهير، ومعناه أنّ كمال معاني الرجولة يكون بتزكية النّفوس وتطهيرها من الأدناس المادّية والذنوب المعنوية حتى يصير الواحد منهم طاهراً في الظّاهر والباطن.

[3] عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (جدة: دار الوسيلة)، 5/ 2044.

وقوله تعالى: "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمـًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" (النّور: 24/ 37)

أمّا في هذه الآية فقد كان من معاني الرّجولة، هي الجدّية والتّعالي على حظوظ النّفس، فلم ينشغلوا عن عبادة الله وطلب مرضاته بما ينشغل به غيرهم من متاع الدّنيا ونعيمها، فقد أدركوا أنّ ما عند الله خير وأبقي، فلم ينشغلوا بالنّعيم المؤقت الزائل عن النّعيم الحقيقي الدّائم.

وأمّا قوله تعالى: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً" (الأحزاب: 33/ 23)

وفي هذه الآية تتمثّل في هؤلاء الرّجال أسمى معاني الصّدق والوفاء، فالرجال هم فعلاً من يصدقون بالعهد ويوفون بالوعد، خاصّة وإن كان الأمر يتعلق بأعظم عهد وهو بين الخالق وعباده المؤمنين، فإن الوفاء به من أعلى مراتب الرّجولة التي ممكن أن يصل إليها إنسان.

وفي قوله تعالى: "قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة: 5/ 23)

يمكن أن نستلخص معاني جليلةّ وفوائد جميلة ترتبط بمعاني الرجولة، منها: أنّ أول وصف لهما كان (يخافون) فهم يخافون عذاب الله تعالى وغضبه لأنهم أدركوا عظمة ربّهم فتحققت معاني الخشية في قلوبهم. وثانيها: (أنعم الله عليهما) فنعم الله تعالى الكثيرة وأفضلها الإيمان، إنما يؤتيها الله للرجال الذين

يتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه. وثالثها: (ادخلوا عليهم الباب...) وهنا تتجلى أسمى معاني النّصح للغير وتمنّي الخير لهم، فالنّصيحة هي من خصال الرّجال الحميدة. ورابعها: (وعلى الله فتوكلوا) فلا شك ولا ريب أنّه ليس برجل من لا يتوكّل في جميع أموره على الله تبارك وتعالى، فقد أدركوا أن العون والتوفيق والسداد لا يأتي إلا من الله وحده.

آخرها قوله تعالى: "وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ" (القصص: 28/ 20) وقوله تعالى: "وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" (يس: 36/ 20)

وهذه الآيات دلت على أنّ المؤمن الذي خلق في هذه الحياة له غاية كبرى يسعى إليها، وفي طريقه لتحقيق هذه الغاية لا بدّ أن يتحلّى بالإيجابيّة والفاعليّة، فهو في سعي دائم ليرتقي بنفسه ويرتقي بمن حوله فكراً ومنهجاً وسلوكا.

يقول الشيخ الشّعراوي في تفسير قوله تعالى: (رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ) دون أن يذكر عنه شيئـًا، فالمهم أن الرجولة في الإيمان، أيّـًا كان هذا المؤمن في أيّ زمان، وفي أيّ مكان، وبأيّ اسم، وبأيّ صفة[٩].

"إذن فالرجولة الحقَّة مصطلح يحمل معاني كريمة، وصفاتٍ حسنةً من

[٩] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، 14/ 8868.

الصدقِ والإخلاصِ والشهامة والشجاعة والكرم والنجدة، والبرِّ والإحسان، والصبر والعفة، والدعوة للخير، والنصح للخلق، والوفاء بالعهود، وأداء الحقوق ونحوها من كريم الأخلاق وجليل المواقف.

والرجولة بشكل عام وعاءٌ يحتوي عددًا من الأخلاق والشيم الفطرية والمكتسبة، تدور رحاها حول العبودية للخالق ونَفْعِ الخلق، وتنأى بصاحِبها عن سفاسف الأمور ومواطن الريب.

وليس من الرجولة الحقَّةِ الغدرُ والخيانة، والكذبُ والجبنُ والبخل، وفحش القول والعمل، وفساد الظاهر أو الباطن، وما يندرج في النفاق العملي أو الاعتقادي، أو غير ذلك من صفاتٍ مستقبحة، وعوائد سيئة ومواقف يُستحى من ذكرها.

ومن تأمّل في كتاب الله، وجد تأكيدًا على الرّجولة وإشادة برجال ذوي صفات ومواقف جليلة، خلّد القرآنُ ذكرهم وترك صفاتهم محلاّ للعبرة والذكرى"[٥].

المطلب الثالث: العوامل التي ساهمت في تنشأة قيمة الرجولة عند النبي صلى الله عليه وسلم:

إنّ المتأمّل في سير العظماء عبر التّاريخ، بجد أن معاني الرجولة الّتي تم ذكرها سابقـًا، تتجسد في أتمّ صورها في الأنبياء عليهم السّلام، ومن أفضل الأنبياء وأعلاهم منزلة أولي العزم منهم، وسيّد الخلق وإمام المرسلين هو نبيّنا محمّد

[٥] سليمان بن حمد العودة، شعاع من المحراب (الرياض: دار المغني 1434) 6/ 129.

عليه الصّلاة والسّلام، وسنتعرف على تمثّل هذه القيمة في حياته صلّى الله عليه وسلّم من خلال المرور على بعض محطّات حياته المليئة بالدّروس والعبر في تجلّي معاني الرّجولة، بأجمل صورها، وأجلّ معانيها.

"يقول الأستاذ أحمد أمين: لعل من أهم الفروق التي تميّز المسلمين في أول أمرهم وفجر حياتهم عن المسلمين اليوم (خلق الرجولة) فقد غنّى العصر الأول بمن كانوا هامة الشّرف، وعزّة المجد، وعنوان الرّجولة، وتتجلّى هذه الرجولة في محمد صلّى الله عليه وسلّم، الّذي قدّموا له الكثير من العروض المغرية من المناصب والأموال والنّساء لكي يتخلّى عن دعوته، فثبت كالجبال أمامها ولم تثنيه عن غايته.

كما تتجلّى في أعماله في أدوار حياته، فحياته كلّها سلسة من مظاهر الرّجولة الحقّة، والبطولة الفذّة، إيمان لا تزعزعه الشّدائد، وصبر على المكاره، وعمل دائب في نصرة الحق، وهيام بمعالي الأمور، وترفع عن سفسافها، حتى إذا قبضه الله إليه لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السّلطان، ولم يخلّف أعراضاً زائلة كما يخلّف الملوك والأمراء، إنّما خلّف مبادئ خالدة على الدّهر، كما خلّف رجالاً يرعونها وينشرونها، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجلها"[٥].

وفي هذا المقام، وفي كلامنا عن معاني الرّجولة وسماتها وكيفية تحقّقها، وأبرز صورها، لا بدّ أن نستلهم هذه المعاني من خلال ذكر مواقف من حياة سيّد

[٥] أحمد حسن الزيات باشا، مجلة الرسالة 93/ 19.

رجال التّاريخ الّذي هو مدرسة في هذا الميدان وهو خير من ربّى جيلاً مليئاً بالرّجال الصّادقين، فكان بحق صاحب صنعة لا مثيل لها في صناعة الرّجال، وهذه الصنعة الّتي لايوجد صنعة تقابلها في صعوبتها ودقّتها وشدّة الصبر فيها. سنتعرض معكم أهمّ المواقف التي ساهمت في تنشأة قيمة الرجولة في هذا الرّجل العظيم من بداية مولده إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ونأخذ منها الدّروس والعبر.

1 – نسلٌ مبارك:

عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ"[7].

من خلال هذا الحديث نجد أنّ من الأمور المهمّة والأساسيّة وجودها في الرّجل أن يكون من نسلٍ طيّب ونسب شريف، ومن هنا نؤكد على أهميّة أن يحرص المسلم على حسن اختيار الزوجة ممّن عرف نسبهم، فإن طهارة النّسب تؤدي إلى طهارة الذرّية واستقامتها بإذن الله تعالى، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدّين

[7] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (بيروت: دار الجيل، 1334هـ)، "الفضائل"، 1 (2276).

تربت يداك"[٨]، كلمة الحسب الّتي وردت في الحديث تشمل النّسب والشّرف والمنزلة الاجتماعيّة، فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أقرّ أنّ من أسباب إقدام النّاس على الزّواج الحسب، لكنّه أرشد إلى أنّ الدّين هو المعيار، فالحديث لا يلغي أهميّة النّسب، بل يذكره كعامل مؤثّر ومعتبر عند النّاس، لكنّه يضع الأولويّة للدّين عند الاختيار.

2- ولادةٌ في رحم المعاناة:

ولد النّبي ﷺ في عام عصيب سمّي بـ عام الفيل، وكانت هذه الفترة الزمنيّة من أشدّ الأوقات صعوبة على قريش، فقد كانت مكّة على وشك لقاءٍ مع جيش أبرهة الكبير الذي قدم لهدم الكعبة، إلا أنّ الله تعالى صرفهم عن بيته بمشيئةٍ منه وإكراماً لنبيّه ﷺ، فزالت الشدّة ورفع الكرب، فقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الفيل"[٩].

فعندما يولد الإنسان في ظروف قاسية، يكون هذا تهيئةً له ليجاري هذه الظروف ويواجه التّحديات المفروضة عليه، ليكون رجل المرحلة، على عكس من يولد في ظروف الرّخاء والدّعة والرّاحة.

[٨] مسلم، صحيح مسلم، "الفضائل"، 15 (1466).

[٩] أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصّحيحين (بيروت: دار المعرفة)، "تواريخ المتقدّمين من الأنبياء والمرسلين"، 25 (4202).

3 – تنشأته ﷺ في بادية بني سعد:

كانت من عادة العرب إرسال أبنائهم إلى البادية من صغرهم ليحافظوا عليهم من الأوبئة والأمراض الّتي كانت تصيب المدينة، إلى جانب تعويدهم على التّنشأة في الظّروف القاسية ليشتدّ عودهم ويتعلّموا الفصاحة والخطابة.

"قدمت حليمة إلى مكة، وكانت المراضع يقدمْنَ من البادية إلى مكة يطلبن أن يُرضعن الأطفال، فقدمت عِدَّةٌ منهن، ولم تجد حليمةُ طفلاً تأخذه غيرَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وكان يتيماً، فلذلك لم يرغبن في أخذه، فأخذته حليمةُ بنتُ أبي ذؤيبِ بنِ الحارث السعديةُ، وتسلَّمته من أمه آمنة، ومضت به إلى بلادها، وهي باديةُ بني سعد"[10].

"إنّ تربية الطّفل منذ نعومة أظافره في بيئة قاسية كهذه أدعى لأن يصبح رجلاً قويّ البنية شديد التّحمل لأن الإنسان ابن بيئته، وفساد البيئة يؤدي في طبيعة الحال إلى خلل في حياة الإنسان.

وتنشئة الأولاد في البادية، ليمرحوا في كنف الطبيعة، ويستمتعوا بجوّها الطلق وشعاعها المرسل، أدنى إلى تزكية الفطرة، وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق الأفكار والعواطف"[11].

[10] مجير الدّين العليمي عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الّرحمن المقدسي، التّاريخ المعتبر في أنباء من غبر (دمشق: دار النوادر، 1431ه/ 2011م)، 1/ 67.

[11] محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، (دمشق: دار القلم، 1426هـ) 63.

4- **يتم الأب والأم:**

كما هو معلوم فإنّ فقدان أي إنسان لوالديه أو أحدهما، يترك ذلك أثراً في نفسه، لأن الوالدين هما السّند الأساسي لكل طفل، وفقدان أحدهما يترك فراغـًا وأثراً عميقـًا، فكيف بك بأن يفقدهما كلاهما وفي سنّ مبكرةٍ من عمره، وقد كان معروفـًا وسائداً أنّ اليتيم ينشأ ضعيف الشّخصيّة لأنّ يصبح مصدر عطف وشفقة للمجتمع من حوله، عَنْ حَلِيمَةَ أُمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّعْدِيَّةِ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ قَالَتْ: "خَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ لَمْ تُبْقِ شَيْئًا، وَمَعِي زَوْجِي، وَمَعَنَا شَارِفٌ لَنَا، وَاللهِ مَا إِنْ يَبِضُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَةٍ مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي صَبِيٌّ لِي إِنْ نَنَامَ لَيْلَتَنَا مِنْ بُكَائِهِ مَا فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغْنِيهِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ لَمْ تَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَأْبَاهُ، وَإِنَّمَا كُنَّا نَرْجُو كَرَامَةَ الرَّضَاعَةِ مِنْ وَالِدِ الْمَوْلُودِ، وَكَانَ يَتِيمًا، وَكُنَّا نَقُولُ: يَتِيمًا مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ بِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ صَبِيًّا غَيْرِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا وَقَدْ أَخَذَ صَوَاحِبِي، فَقُلْتُ لِزَوْجِي : وَاللهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنَّهُ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخَذْتُهُ وَرَجَعْتُ إِلَى رَحْلِي. فَقَالَ زَوْجِي: قَدْ أَخَذْتِيهِ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ وَاللهِ، وَذَاكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ، فَقَالَ: قَدْ أَصَبْتِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ

يَجْعَلَ فِيهِ خَيْرًا"[12]، لكنّ النّبي ﷺ كان في يتمه مختلفاً عن الجميع، فقد دفعه هذا اليتم إلى أن يعتمد على نفسه وأن يكدح في حياة الجدّ والعمل دون انتظار شفقة أو مساعدة من أحد، وكما يصفه أحد الشعراء قائلاً:

اليُتْمُ عند الكُلِّ ضعفٌ واضحٌ واليُتمُ عندك كان كي تتجوهرا.

5- عملٌ في مهنة الأنبياء:

لقد كان الأنبياء عليهم السّلام كغيرهم من البشر، يعملون من أجل تحصيل لقمة العيش، حتّى لا يصبحوا عالةً على غيرهم، فكانت هذه الأعمال والمهن تهيئةً لهم ليتحمّلوا أعباء الرّسالة، فكان لها دور مهم في حياتهم وترسيخ العديد من القيم والأخلاق فيهم، ومن أهمّ هذه القيم قيمة الرّجولة، فعندما يمارسون في صغرهم أعمالاً شاقّة، فهي تنمّي فيهم شعور المسؤوليّة منذ الصّغر وتجعلهم في مصافّ الرّجال الأشدّاء.

"عاد محمد عليه الصلاة والسلام ليستأنف مع عمّه حياة الكدح، فليس من شأن الرّجال أن يقعدوا، ومن قبله كان المرسلون يأكلون من عمل أيديهم، ويحترفون مهنا شتّى ليعيشوا على كسبها. وقد صحّ أن محمدا عليه الصلاة والسلام اشتغل صدر حياته برعي الغنم"[13].

[12] محمد بن حبّان البستي، صحيح ابن حبّان، الطّبعة الثّانية (بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1414ه/ 1993)، "التّاريخ" 3 (رقم 6335).

[13] محمد الغزالي السقا، فقه السيرة، 71.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغنم، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ، فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"[14].

6- مشاركة في ميادين القتال:

كما هو معلوم بأنّ لقاء العدو في ميدان القتال هو أشدّ ما يخشى منه الرجال، ولا يثبت في هذه المواطن العصيبة إلا من تمرّس منذ صغره على خوض هذه الغمار، ولعلّ في مشاركة النّبي ﷺ لقومه في حروب الفجار، كما ورد ذلك في السّير، "أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد مع عمومته حرب الفجار، يوم نخلة، وهو من أعظم أيام الفجار. والفجار حرب كانت بين قريش ومعها كنانة، وبين قيس وقد ذكرناه في الكامل، وهو من أعظم أيّام العرب، وكان يناولهم النبل ويحفظ متاعهم، وكان عمره يومئذ نحو عشرين سنة أو ما يقاربها"[15]، فكان ذلك إعداداً له لما ينتظره من معارك وغزوات، يحتاج فيها لثبات الجبال، فمثل هذه المعارك لا يشارك فيها إلا ظهرت فيه علامات الرّجولة، واستكمل أسباب القوّة.

7- غياب وابتعاد عن مواطن اللهو والفجور:

[14] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مجموعة من العلماء، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، "الإجارة"، 2 (رقم 2262).

[15] عزّ الدّين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمّد الجزريّ، أسد الغابة في معرفة الصّحابة (بيروت: دار الفكر) 1/ 22.

وهذا الأمر كان واضحاً وجليّاً في مرحلة شبابه ﷺ، فقد عصمه الله من الذّهاب إلى أماكن كان يذهب إليها غيره الكثير من شباب مكّة، والتي يكثر فيها اللهو المحرّم والاستمتاع بالشّهوات والإكثار من المباحات، قال ابن هشام: "فَشَبَّ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاَللهُ تَعَالَى يَكْلَؤُهُ ويحفظُه وَيَحُوطُهُ مِنْ أَقْذَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضلَ قَوْمِهِ مُرُوءَةً، وأحسنَهم خُلقًا، وأكرمَهم حَسَبًا، وأحسنَهم جِوَارًا، وَأَعْظَمَهُمْ حِلمًا، وأصدقَهم حَدِيثًا، وأعظمَهم أَمَانَةً، وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ الفُحش وَالْأَخْلَاقِ الَّتِي تدنِّس الرِّجَالَ تنزُّها وَتَكَرُّمًا"[16]، فقد أدرك أنّ الرّجل صاحب العزّة والشّهامة لا تغريه توافه الأمور وصغائرها، وإنما يحبّ معالي الأمور ومحاسنها.

8- خلوةُ تفكّر وتأمل:

كان عليه الصّلاة والسّلام يقضي بعض أيّامه في مكان مرتع في مكّة، يخلو بها مع نفسه بعيداً عن ضوضاء الحياة وضجيجها، يسرح في تفكيره في هذا الكون، ويبحث فيه عن غايةِ خلقه وسرّ وجوده، فلا بدّ لكل إنسان أن يكون له فترات يخلو فيها، يكون صافي الذّهن منشرح البال، وذلك يؤدي به إلى عمق في التفكير، وبعد في النّظر، وتبصرةً بحقائق الأمور ودقائقها، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ

[16] عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدّين، السّيرة النّبويّة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، 1/ 167.

قَالَ: عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنّه في أوّل أمره، حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ فَجَعَلَ يَخْلُو بِحِرَاءٍ"[17]، إنّ هذه الفترات الّتي يقضيها الإنسان في التّفكّر والتّأمل، تنمّي فيه التفكير العميق والتّرفّع عن صغائر الأمور الّتي يهتّم بها معظم النّاس من طعام وشراب ومتع لحظيّة، فتصبح اهتماماته متوافقة لأحوال الرّجال أصحاب الهمم العالية والغايات العظيمة.

9- تاجرٌ صادق وأمين:

لقد أظهر النّبي في سنّ مبكرة من عمره، مهارةً منقطعة النّظير عندما بدأ في عمله بالتّجارة في مال السّيدة خديجة رضي الله عنها وبصحبة خادمها ميسرة، الّذي أعجب به وبصدقه وأمانته ومهارته الّتي نجح من خلالها بالعودة بربح كثير، قال ابن إسحاق: "وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً، ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا، وَتُضَارِبُهُمْ إيَّاهُ، بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجَّارًا، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما بلغها: من صَدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، بَعَثَتْ إِلَيْهِ، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يخرجَ فِي مَالٍ لَهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أفضَلَ مَا كَانَتْ تُعطي غيرَه مِنْ التُّجَّارِ"[18].

فمن صفات الرّجل الأساسيّة صدق حديثه وأمانته على أموال النّاس، لا كما

[17] أحمد بن حنبل، المسند (جدّة: دار المنهاج، 1431ه/ 2010م)، 6/ 3175 (رقم 15264).

[18] عبد الملك بن هشام، السّيرة النّبويّة، 1/ 172.

يظنّ بعض النّاس بأنّ الكذب والخداع والغشّ دليل على حنكة الرّجل في تجارته، لأن الله تعالى يبارك في مال التّاجر الصدوق ويمحق بركة الكاذب والمخادع.

10 - زواج مباركٌ ميمون:

شهدت مكّة أروع عرس في تاريخها، رجلٌ من خيرة شباب مكّة وامرأة من سيّدات القوم، كلّ منهما يحمل من الصفات الكريمة والخصال الحميدة، ما سيؤدي إلى بناء أسرة من أفضل الأسر في تاريخ البشريّة، "وَكَانَتْ خديجةُ امْرَأَةً حَازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً، مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا أخبرها ميسرة مما أخبرها به، بعثت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَتْ لَهُ فِيمَا يزعمون: يابنَ عَمِّ، إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِيكَ لِقَرَابَتِكَ وسِطَتِكَ فِي قومِك وَأَمَانَتِكَ، وحسنِ خُلقك، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ، ثُمَّ عرضتْ عَلَيْهِ نفسَها،وَكَانَتْ خديجةُ يَوْمئِذٍ أوسطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وأعظمهنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، كُلُّ قومِها كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ منها لو يقدُرُ عليه"[19]، رجل يتمتّع بأسمى معاني الرّجولة، وسيكون في مستقبل أمره نبيّاً مرسلاً وقائداً هماماً وسيّداً لخير الأمم، أمّا زوجته فهي من أشرف نساء قريش وأوفرهنّ خلقاً ونسباً ومالاً، وستكون في مستقبل أمرها، أولى أمّهات المؤمنين، وسيّدة نساء العالمين.

وللأديب المنفلوطي كلامٌ جميل، يذكر فيه ارتباط كمال الرّجولة بوجود

[19] عبد الملك بن هشام، السّيرة النّبويّة، 1/ 173.

الزّوجة بجانب الرّجل، فيقول: "ولا يستطيع الرجل أن يكون رجلا تام الرجولة حتى يجد إلى جانبه زوجة تبعث في نفسه روح الشهامة والهمة وتغرس في قلبه كبرياء المسئولية وعظمتها، وحسب المرء أن يعلم أنه سيد وأن له رعية كبيرة أو صغيرة تضع ثقتها فيه وتستظل بظل حمايته ورعايته وتعتمد في شئون حياتها عليه حتى يشعر بحاجته إلى استكمال جميع صفات السيد ومزاياه في نفسه، فلا يزال يعالج ذلك ويأخذ نفسه به حتى يتم له، وما نصح الرجل بالجد في عمله والاستقامة في شئون حياته وسلوك الجادة في سيره ولا هداه إلى التدبير ومزاياه والاقتصاد وفوائده والسعي وثمراته، ولا دفع به في طريق المغامرة والمخاطرة والدأب والمثابرة مثل دموع الزوجة المنهلة، ويدها الضارعة المبسوطة"[20].

هذه عشر محطّات مهمّة ومضيئة في حياة الرّجل الأوّل، وممّا لا شكّ منه أنّ حياته مليئةٌ بمواقف تظهر فيها أروع صور الرّجولة وأكملها، وإنمّا اقتصرت عليها لكون ما بعدها نتيجة لهذه المرحلة، وقد كان التّركيز هنا على خطّ السيّر منذ الولادة إلى حين بلوغ مرحلة متقدّمة من العمر، ففيها أهم المحطّات التي يستفيد منها كلّ مسلم ليتعلّم منها كيف يبني في نفسه وفي غيره هذه القيمة العظيمة وهي قيمة الرّجولة.

[20] مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن محمد حسن لطفي المَنْفَلُوطي، النّظرات، (دار الآفاق، 1402هـ- 1982م)، 3/ 114.

ALDEBAL, BIANNUAL, PEER REVIEWS ACADEMIC RESEARCH JOURNAL
Vol. 9, No. 2 || July -December 2024|| P. 40-74
ISSN: 2415-5500
الديبل (يوليو_ ديسمبر 2024ء)

المبحث الثاني: عوامل ضياع الرّجولة وأهميّة تعزيز هذه القيمة في حياة الشباب

المطلب الأول: عوامل ضياع الرّجولة في حياة الشّباب

في مقالٍ كتب فيه الشيخ حسن البنّا عن المرأة، ذكر أنّ من أهم عوامل ضياع الرّجولة لدى كثير من الّشباب، هو كثرة الاختلاط مع النّساء، فيقول في ذلك: "يرى الإسلام في الاختلاط بين المرأة والرجل خطرًا محققًا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج؛ ولهذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع انفرادي لا مجتمع مشترك، إن ما يعقب لذة الاجتماع بحلاوة الإنس من ضياع الأعراض وخبث الطوايا وفساد النفوس وتهدم البيوت وشقاء الأمر وبلاء الجريمة، وما يستلزمه هذا الاختلاط من طراوة في الأخلاق ولين في الرجولة لا يقف عند حد الرقة، بل هو يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة والرخاوة، وكل ذلك ملموس لا يماري فيه إلا مكابر"[21].

وللشيّخ أبي الحسن النّدوي كلام يحذّر فيه من خطر الإعلام والصّحف الغربية التي تنشر الإلحاد والأدب الخليع، وأثرهم السّيّء في إفساد الشّباب ونشر الشّهوات والرّذيلة لهم، وهذا الأمر أصبح واقعاً مع وجود الهواتف الذكيّة وانتشار الشّاشات ودخول الإنترنت لجميع البيوت، فأصبح الأمر أشدّ سوءاً ممّا كان عليه الأمر في زمن الشّيخ أبي الحسن النّدوي، يقول:

[21] مجموعة من المؤلفين، مجلّة المنار، 35/ 756.

"ومن واجب رجال التربية وولاة الأمر أن يحاربوا بكل قوتهم ما يضعف روح الرجولة والجلادة ويبعث على التخنث والعجز، من عادات وأدب وصحافة وتعليم، ويأخذوا على يد الصحافة الماجنة والأدب الخليع الملحد، الذي ينشر في الشباب النفاق والدعارة والفسوق، وعبادة اللذة والشهوات، ولا يسمحوا لهؤلاء التجارة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا أن يدخلوا في معسكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاث، ويفسدوا على الناشئة الإسلامية قلبها وأخلاقهم، ويزينوا لها الفسوق والعصيان، وحب الفحشاء، بثمن بخس دراهم معدودة، وقد شهد التاريخ بأنّ كل أمة أصيب رجالها في رجولتهم وغيرتهم، ونساؤها في أنوثتهن وأمومتهن، وطغى فيهن التبرج، ومزاحمة الرجال في كل شيء، والزهد في الحياة المنزلية، وحبب إليهن العقم، أفل نجمها وكسفت شمسها، فأصبحت أثراً بعد عين"[22].

إذاً فعند ذكرنا لأهم عوامل ضياع الرّجولة نجد أنّ كثير منها مرتبط باتّباع الشّهوات الّتي يزيّنها أعداء الإسلام لشباب المسلمين، وهي ناتجة أيضـًا عن عدم اعتناء الآباء والأمهات بالتنشئة السّلمية لأبنائهم، وتركهم عرضةً لكل متسوّل بأن يزرع في عقولهم أشكالاً مختلفة من الأفكار المنحرف والشّهوات

[22] علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (مصر: مكتبة الإيمان) ص 247.

المختلفة بتزيينها وعرضها بصورة جميلة، حتّى يضع فيها السّم على هيئة العسل.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ أهمّ النّقاط الّتي تسبّب ضياع الرّجولة، هي ما يلي:

1- كثرة الاختلاط مع النّساء.

2- الانغماس في الشّهوات والرّذيلة.

3- فساد النّفوس وخبث النوايا.

4- هشاشة في الأخلاق الفاضلة.

5- انتشار الشّاشات والهواتف الذّكيّة.

6- تراجع في التعليم وابتعاد عن الأعراف والعادات.

7- غياب الغيرة عند الرّجال، وانتشار التبرّج بين النّساء.

وهذه العوامل بمجموعها تؤدي إلى فساد الأخلاق شيئًا فشيئا، وفساد الأخلاق ينتج عنه ضياع الرّجولة بين شباب الأمّة، فليس من الرجولة الحقَّةِ الغدرُ والخيانة، والكذبُ والجبنُ والبخل، وفحش القول والعمل، وفساد الظاهر أو الباطن، وما يندرج في النفاق العملي أو الاعتقادي، أو غير ذلك من صفاتٍ مستقبحة، وعوائد سيئة ومواقف يُستحى من ذكرها، وهذه كلّها تكون نتيجة لضعف قيم الّرجولة وغيابها.

المطلب الثاني: أهميّة تعزيز قيمة الرّجولة

بعد أن رأينا الخطر المحدق والعظيم الّذي يسببه غياب هذا المصطلح في حياة الشّباب المسلم، أصبح من الواجب على علماء الأمّة ودعاتها وجميع أفراد المجتمع وخاصّة الوالدين، أن تتكاتف جهودهم لإعادة إحياء وتعزيز قيم الرّجولة في نفوس أبناء الأمّة وشبابها، فكل مصيبة أو خطر محدق يكون بسبب غياب هذه القيم، وكل خير ورفعة وعزّة مرتبط بعودة هذه القيم لأفراد الأمّة.

وكما هو معلوم أصبح الأمر أشدّ خطورة في هذا الزّمان، الّذي صار فيه أعداء الأمّة يروّجون للشذوذ ويحاربون الفطرة بدعوى التطور والتحرّر، وإن هناك تيّاراً كبيراً من الأجيال التّائهة بدأت تنصاع لهذه الدّعاوى الهابطة، وبدأت الآثار السّلبية تظهر من عدم اعتزاز الرّجل برجولته بل وحتى عدم قبول المرأة بأنوثتها، فلا بدّ من الوقوف في وجه الحملة التي يقودها أتباع الشيطان، ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى هدي القرآن الكريم وتعاليم النّبي ﷺ ودراسة سير عظماء المسلمين ونشر ثقافة الوعي بقيم الرجولة والتّحلي بها بين شباب المسلمين وترسيخ الجهود والطّاقات لتربية أجيال على العزّة والكرامة ورفض الخضوع والانزلاق خلف مكائد الشيطان وأعوانه.

"وإذا أردنا أن نتحدّث عن فوائد وثمار قيم الرّجولة في المجتمع المسلم، نذكر فوائد منها:

1- نشر الفضيلة ودحض الرّذيلة

2- صيانة الأعراض وحفظ الأموال

3- تثمر الثّبات على الحقّ

4- تورث الحبّ وتثمر الصّدق

5- تمنح ثقة الآخرين واطمئنانهم له

6- ترهب المفسدين والمرجفين

7- تبثّ الأمان من الغدر"[23].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وبعد، فإنّه وبعد تتبعي لهذا الموضوع والقراءة عنه توصّلت إلى ما يلي:

1- الرجولة في التّصوّر الإسلامي لا تقتصر على الذّكورة أو الصّفات الجسديّة، بل هي قيمة معنويّة تتجلّى في المسؤوليّة، والثّبات على المبادئ والتّحلّي بالأخلاق الفاضلة.

2- دلالة كلمة الرّجولة في القرآن الكريم ارتبطت بقيم وأخلاق عظيمةٍ، مثل: الصّدق والطّهارة والشّجاعة والمسؤوليّة والعبادة والثّبات والصّبر.

3- يتجلّى النموذج النّبوي في بناء الرّجولة من خلال، النّشأة في بيئة قاسية، والمرور بظروف شديدة مثل: اليتم والفقر والسّفر وخوض المعارك وغيرها، والتّحلّي بصفات أساسيّة مثل: الصدق والأمانة والطّهارة والتفكير العميق والبعد عن اللّهو، ثمّ الزّواج وبناء البيت المسلم على أسس قويمة.

[23] عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (جدة: دار الوسيلة) 5/ 2060.

4- من أسباب تراجع قيمة الرّجولة عند الشّباب المسلم في هذا الزّمن أمور عدّة، مثل: ضعف التّربية الإيمانيّة، وغياب القدوة الصّالحة، والتّأثّر بالإعلام الغربي، وانهيار المفاهيم التّربويّة في الأسرة، وضعف الرّوابط الاجتماعيّة، وآخرها الانغماس في الشّهوات وكثرة الاختلاط وانتشار التّبرج بين النّساء وغياب الغيرة عند الرّجال.

من خلال هذه النّتائج الّتي ظهرت يوصي الباحث بما يلي:

1- إحياء النموذج النبوي في برامج الشباب، وضرورة التّركيز على السّيرة النّبويّة كمصدر أساسي في تكوين شخصيّة رجوليّة متّزنة.

2- تبنّي مشروع تربوي متكامل لتعزيز الرّجولة يشمل المدارس والمساجد والبيوت ووسائل الاعلام لبناء شخصيّةٍ مؤمنة ثابتة على القيم.

3- الحذر من ثقافة التّغريب والشّذوذ الّتي تحارب الفطرة وتطمس معاني الرّجولة والأنوثة عبر الإعلام والفنّ والتّعليم.

4- تنمية صفات الرجولة الإيمانيّة عند الشّباب مثل الصّدق والأمانة والجهاد والتّضحية والغيرة والبعد عن الدّعة والتّرف.

5- دعم البيئة الاجتماعيّة والأسرة لتكون حاضنةً لقيم الرّجولة وتقديم نماذج واقعية من القدوات في المجتمع.

6- تعزيز الهويّة الإسلاميّة والاعتزاز بها لتكون منطلقـًا لتصحيح المفاهيم المنحرفة عن الرّجولة المنتشرة في الواقع المعاصر.

فهرس المصادر:

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

ابن حيّان، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التّفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

أحمد بن حنبل، المسند، دار المنهاج، جدّة، 1431هـ/ 2010م.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المحقق: مجموعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.

الحاكم النّيسابوري، أبو عبد الله ، المستدرك على الصّحيحين، دار المعرفة، بيروت.

الزّيّات، أحمد حسن باشا، مجلة الرسالة، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، ورقم الجزء هو رقم العدد.

الشّعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م.

العودة، سليمان بن حمد، شعاع من المحراب، دار المغني، الرياض، الطبعة الثانية، 1434هـ/ 2013م.

الغزالي، محمد السقا، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1426هـ.

عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري المعافري أبو محمد جمال الدّين، السّيرة النّبويّة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم

في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الطبعة الرّابعة، دار الوسيلة، جدّة 1431هـ.

عزّ الدّين ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمّد الجزريّ، أسد الغابة في معرفة الصّحابة، دار الفكر، بيروت.

مجير الدّين العليمي عبد الرّحمن بن محمد بن عبد الّرحمن المقدسي، التّاريخ المعتبر في أنباء من غبر، دار النوادر، دمشق، 1431هـ/ 2011م،

محمّد بن حبّان البستي، صحيح ابن حبّان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، الطّبعة الثّانية، 1414ه/ 1993.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الجيل، بيروت، الطبعة التّركية، 1334هـ.

المَنْفَلُوطي، مصطفى لطفي بن محمد، النّظرات، دار الآفاق، الطبعة الأولى 1402هـ/ 1982م.

مجموعة من المؤلفين، مجلّة المنار.

النّدوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققه ومزيدة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)